

**** نموذج من الأدب التركي: الكاتبة الروائية العالمية (إيليف شافاق) ****

ولدت "إيليف شافاق" الروائية التركية في "ستراسبورغ" الفرنسية عام 1981م، والدها

هو الفيلسوف "نوري بلجين" ووالدها الدبلوماسية "شافاق أتايان" أخذت "إيليف" اسمها الثاني من اسم والدها الأول "شافاق" وإذا كان الوالدان قد انفصلا ولها من العمر سنة واحدة لا غير، فإن أثر تربيتها بغياب والدها أثر فيها كثيرا، وقد أمضت سنوات مراهقتها في مدريد وفيلادلفيا، لكن هذا لم يمنعه بالعودة إلى تركيا، والسكن فيها لاسيما إسطنبول، وفي تركيا أكملت دراستها في جامعة الشرق الأوسط التقنية، وحازت منها على شهادة الماجستير في الدراسات النسوية، والدكتوراه في العلوم السياسية.¹

فرغم أن الروائية هي ابنة الفيلسوف التركي، إلا أنها تنازلت عن اسم والدها، واختارت اسم والدتها، ويصبح فيما بعد اسمها الأدبي، لتعيش متنقلة بين الشرق والغرب، ودائما ما كان ينتهي بها المطاف إلى تركيا وبالتحديد اسطنبول.

ويبدو أن لمدينة اسطنبول أثر كبير في كتاباتها، بل هي المحور الذي دارت في فلكه معظم أدبياتها، وهي ترى أن اسطنبول تساعد المرء على أن يفهم الأشياء غريزيا وليس عقليا، كما كانت رؤية "إيليف شافاق" الفكرية المعاصرة تستند إلى حد كبير لكل ما هو سياسي وفلسفي وأدبي واجتماعي في آن واحد، ولقد جاءت أعمالها الروائية باللغتين التركية والإنجليزية، ولاقت اقبالا من مختلف دور النشر العالمية، فترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة حتى أصبحت كتبها الأكثر مبيعا في الدول الأوروبية.²

كتبت "إيليف شافاق" في العديد من الصحف والمجلات العالمية التي فتحت الأبواب لمقالاتها، مثل الغارديان اللندنية واللويمند الفرنسية، وبرلينرزا يتونغ الألمانية، ونيويورك تايمز وول ستريت جورنال والواشنطن بوست، والتايم الأمريكية.³ فالحق أنها التي عالجتها شافاق في مقالاتها كثيرا ما كانت مستحسنة، وقد جعلها ذلك تواصل الكتابة بانتظام. إلى ان أحازت رسالتها عن (التصوف الإسلامي وفهم الزمان دائريا) جائزة قيمة من معهد علماء الاجتماع، وأول روايتها (الصوفي) التي نالت عنها جائزة جلال الدين الرومي 1998م بوصفها أفضل عمل عن الأدب الصوفي في تركيا، أما روايتها الثانية (مرايا المدينة) فهي عن التصوف الإسلامي واليهودي في القرن السابع عشر، وجاءت روايتها الثالثة (نظرة محدقة) لتتال عنها جائزة اتحاد الأدباء والأتراك في عام 2000م، وصدر لها عمل آخر وهو رواية (قصر البرغوت) الذائع صيتها هي الأخرى وأعقبها كتاب آخر يضم مجموعة من المقالات عن الأدب، والثقافة والجنس، والانغلاق الثقافي، ولها رواية بالإنجليزية بعنوان (قديس الحمامات) وتلها رواية ثانية بالإنجليزية بعنوان (لقطة اسطنبول) التي أصبحت أكثر الكتب مبيعا وتسببت في إقامة دعوى قضائية عليها بتهمة الإساءة إلى القومية التركية، لكن القضاء أفرج عنها لعدم كفاية الأدلة، وتجنبته بذلك عقوبة السجن، ثم جاءت (قواعد العشق الأربعون) المتأثرة في كتابتها بالتراث والتجربة الصوفية ودراسها المستفيضة لها.⁴ فالتاريخ الأدبي كان حافلا بأعمال أدبية قيمة لاقت رواجاً في مختلف أنحاء العالم، ولقد تمت الإشارة إلى البعض منها فقط.

وربما تنوع الأمكنة في حياة "إيليف شافاق" وتعريفها على أعراق وأجناس مختلفة جعلتها ذات محصول ثقافي وفكري وأيديولوجي ساهم بكل الأشكال في إبداعها وأسلوبها، فإن كانت الطفولة والمراهقة أساسا بمدرسة وعمان، فإن شبابه كان

¹ ينظر: إيليف شافاق: قواعد العشق الأربعون (رواية عن جلال الدين الرومي)، تر: محمد درويش، ط1، 1437هـ/ 2016م، ص06.

² ينظر: إيليف شافاق: قواعد العشق الأربعون، ص06.

³ ينظر: م ن، ص07.

⁴ ينظر: م ن، ص ن.

ببلدان أخرى لا يقلّ عددها، كما أنّها اختارت الكتابة بلغات غير لغتها الأمّ، وهي سعيدة بهذا الاختيار الذي جعلها تكشف الإمكانات المنطوية عليها كلّ لغة، فحسب رأيها لكلّ لغة تعقيداتها وإيقاعاتها.¹

وتظنّ "إليف شافاق" من الروائيات الأكثر شهرة على الصّعيد التركي وغيره، فهي الكاتبة التي زاحمت الرجال في مجال الأدب فطُرحت مواضيعها بتقنية رائعة، جعلت من أعمالها الروائية الأكثر مبيعا في أنحاء العالم، متوغّلة في العالم الصوفي وأسراره، متأثرة بذلك تأثرا روحيا وعاطفيا، لتبدع لنا واحدة من أجمل الكاتبات الصوفية (قواعد العشق الأربعون).

- ملخص رواية (قواعد العشق الأربعون):

انصبّت الروائية "إليف شافاق" على قراءة مؤلّفات الصّوفيين الكبار الذين تساموا بمفهومهم عن الحبّ، فتشبّعت بالأفكار والمفاهيم الصّوفية التي تدور في فلك الحبّ، وقد جاء اهتمامها "بجلال الدّين الرومي" و"شمس التبريزي" متوجّا برائعتهما (قواعد العشق الأربعون) إذ عزّزت من شهرتهما الأدبية، وبيع منها أكثر من نصف مليون نسخة حال صدورها.² في هذه الرواية تسرد الروائية حكايتين متوازيتين ومنفصلتين زمنياً، أحد الأزمنة في القرن الواحد والعشرين 2008م، حيث تجري أحداثه في مدينة نورثهامبتون بولاية ماساشوسيتس بالولايات الأمريكية المتّحدة، من خلال شخصية "إيلا روبنشتاين" وهي امرأة أرمينية يهودية غير متديّنة، أمّ لثلاثة أبناء، متزوجة من طبيب أسنان ناجح جدّا غير أنّه عُرف بخيانتته لها، ومع ذلك لم تكن "إيلا" تبدي أيّ انزعاج، فهي دائماً تُدرك أنّهما لا يرتبطان ارتباطاً عميقاً. تعيش حياة رتيبة اعتيادية كرتبة منزل تجعل منزلها وأولادها في قمة أولوياتها، ومع ذلك لم تكن سعيدة في زواجها. يحدث أن تحصل "إيلا" على عمل في دار نشر كأول مهمة لها في عملها كناقدة، تبدأ بقراءة الرواية التي تحمل عنوان (تجديف عذب) لمؤلّفها "عين. زد. زاهارا" أو "عزيز زاهارا" هذه الرواية التي تتحدث عن مقابلة "جلال الدّين الرومي" لـ "شمس التبريزي" وتحوّل من إمام إلى صوفي، وأثناء قراءة "إيلا روبنشتاين" لـ (تجديف عذب)، يقع ناظرها على عبارة كتبها "عزيز زاهارا": "ولأنّ الحبّ جوهر الحياة وهدفها. وكما يذكّرنا الرّومي، فإنّه يُهاجم الجميع بمن فهم أولئك الذين يتحاشونه، حتّى أولئك الذين يستخدمون كلمة رومانسي بوصفها علامة استحسان"³ صُعقت "إيلا" من هذه العبارة، وكأنّها قرأت ما يأتي: "الحبّ يهاجم الجميع، حتّى ربة البيت في خريف العمر الساكنة في نورثهامبتون والمدعوّة إيلا روبنشتاين"⁴. فشعرت وكأنّ الرواية تخصّها، أي تمسّ حياتها الشّخصية، وتطرح فكرة تُناقض أفكارها وآرائها اتّجاه الحبّ والعشق، ما جعلها تشكّ في أنّ الكاتب قد تجسّس على حياتها، فيدفعها ذلك لمواصلة القراءة، لتبدأ فصول (تجديف عذب) ثمّ تصل ما قرأته بمشاعرها وبصراعاتها الداخلية والعائلية المعاشة آنذاك، وتنطلق رحلة التّغيير في حياتها المتبقية، بعدما كانت أربعين سنة من المياه الراكدة.

تشرع "إيلا" بكتابة التّقرير الذي كلّفت به حول الرواية، بعدما استبدّ بها الفضول لمعرفة الرّجل الذي كتب هذا العمل واتّجهت نحو الحاسوب وبدأت تبحث في موقع غوغل عن "عين. زد. زاهارا"، رغم أنّها لم تكن تتوقّع شيئاً كثيراً، ولدهشتها ظهر لها موقعه الشّخصي، وشعرت وهي تتصفّح صفحته أنّ كلّ ما أدركه من مقتطفات وصور وقصائد، إنّما كان موجّهاً إليها وحدها، لتقرّر بعد ذلك مراسلة "عزيز زاهارا" "ولم تكن رسالة إيلا الأولى إلى عزيز رسالة اعتيادية، بل كانت دعوة نداء من أجل مدّ يد العون لها. لكن إيلا لم تكن لتدرك هذا وهي تجلس في مطبخها الهادئ وتكتب رسالة إلى أديب

¹ ينظر: إليف شافاق: قواعد العشق الأربعون، ص ص 08-09.

² ينظر: م ن، ص 10.

³ م ن، ص 29.

⁴ إليف شافاق: قواعد العشق الأربعون، ص 30.

مجهول، لم تتوقع لقاءه، لا الآن ولا في أي وقت آخر في المستقبل.¹ وقد علمت بعد هذه الرسالة أنّها ستخرج من عالم يجمعها بزوجها وأولادها وجيرانها، لتدخل عالماً جديداً فيه أشياء خطيرة.

وتبلغ "إيلا" سنّ الأربعين، فتقرّر تغيير نظرتها للأمور، وتضع قائمة لكلّ قراراتها المستقبلية، عشرة أشياء يجب إنجازها، ومن بينها فتح قلبها للحبّ، إذ تسير "إيلا" في طريق البحث عن الحبّ من خلال مراسلاتها المستمرة مع عزيز، لتجد العديد من الأمور المشتركة بينهما، ما جعلهما يتبادلان الرسائل مراراً وكانت "إيلا" تُعامل اتصالاتها بـ "عزيز" على أنّها سرّ، لتكتشف بغتة أنّ هذا السرّ يحمل بين طياته أسراراً كثيرة جداً، فلم تكن دار النشر تعلم أنّها تُغازل سرّاً مؤلف المخطوطة، و"عزيز زاهارا" بدوره لم يكن يعلم أنّ المرأة المتحدّث معها تُعدّ تقريراً عن مؤلفه، ولم يعرف أبناؤها ولا زوجها بفحوى الرواية، فتحوّلت "إيلا" من تلك الزوجة الشفافة، الواضحة الشخصية والمدروسة إلى امرأة أربعينية أخرى تُحيط بها أسوار من الأسرار والغوامض، ساعية إلى إثبات الأنا وتحقيق الذات.

ينتهي تقرير (تجديف عذب) وتنتهي حياة "إيلا" الواقعية، لتتحوّل فجأة إلى عاشقة ومتصوّفة، يجمعها بـ "عزيز زاهارا" ما يجمع "الرومي" بـ "شمس الدين التبريزي" -الحبّ- فتلجأ "إيلا" للتّماهي مع محبوبها تحت لحاف الحبّ والعشق، متجاهلة زوجها وأسرتها، مستجيبة لنداء الحبّ الذي لا يعرف الحدود والحواجز، بعدما عاشت كجسد بلا عاطفة تغدي مكنوناتها كمرأة وها هي "إيلا روبنشتاين" المرأة التي لطالما حملت أفكاراً ضدّ الحبّ، وضدّ المشاعر طوال السّنوات الماضية، تقرّر على عجالة التّخلي عن أسرة نمت في جوّ فاتر، والبحث عن شغفها في الحبّ، لتكون وجهتها "عين. زد. زاهارا" متمتعة بإحدى قواعد "شمس": "لم يفت الأوان البتّة على طرح السّؤال على النفس: أنا مستعدّة لتغيير نمط الحياة التي أحيّاها؟ أنا على استعداد للتّغيير داخلياً؟ حتى لو كان يوم واحد من حياتك يشبه سابقاً من الأيام. فالموكّد أنّ الأمر يبعث على الشّفقة والرّثاء. فعلى المرء أن يتجدّد ثانية وثالثة في كلّ لحظة وفي كلّ نفس يتنفسه. ثمّة وسيلة واحدة للولادة في حياة جديدة: الموت قبل الموت".²

أمّا الخطّ الزّمني الثاني للرواية، فهو يدور في فلك مخطوطة (تجديف عذب) التي كُلفت "إيلا" بإنجاز عمل حولها، جرت الأحداث هنا في القرن الثالث عشر 1200م وبالتحديد في قونية بآسيا الوسطى، عن العلاقة التي ربطت "جلال الدين الرومي"، و"شمس التبريزي" الدرويش المغمور الذي امتلأت حياته مفاجآت.

وتدور رواية (تجديف عذب) في شكلها العام حول تصوّف في القرن الثالث عشر وبالتحديد 1244م، وتناولت اللّقاء العجيب بين "جلال الدين الرومي" و"التبريزي"، اللّقاء الذي مهّد لصداقة قويّة جعلت الصوفيين يشبّهونها "بوحدة محيطين"³ ويتحوّل "الرومي" من عالم وإمام وخطيب إلى صوفي ملتزم، وشاعر يتغنّى بالعاطفة ويدافع عن الحبّ.

¹ م ن، ص 68.

² إليف شافاق: قواعد العشق الأربعون، ص 454.

كان "شمس" مختلفاً منذ العاشر من عُمره، إذ تُراوده الرؤى ويتحدّث مع الله، وازداد ذلك مع تقدّمه بالسّن، فقرّر الرحيل عن بيته لتجنب إثارة قلق والديه، ومنذ ذلك الحين وهو درويش جوال من مدينة إلى أخرى، ينطلق هائماً على وجهه في بقاع العالم.

ولقد تكهّن "شمس" بفُرب أجله، وأنّه يقترب من المرحلة الأخيرة من عُمره، بسبب مشاهدته لرؤى كثيرة كدليل على ذلك فيقرّر البحث عن شخص آخر، عن رفيق ندّ ينقل له معرفته، وقواعده في الحبّ والتّصوّف، فابتهل يطلب ويبحث رفيقاً، وامتدّت رحلة بحثه الطويلة من سمرقند إلى بغداد ثمّ إلى دمشق وصولاً إلى قونية، ويتأكّد أنّه وجد توأم روحه وضالته في "جلال الدّين الرومي"، ويحدث أنّ الرؤى التي رآها "شمس" بأنّ رفيق روحه في قونية، هي نفسها لـ "جلال الدين" إذ رأى أنّه سيقابل درويشاً طويلاً القائمة نحيل الجسم، وهي نفسها صفات "شمس التبريزي"، وفي الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل يلتقي "جلال الدين الرومي" بـ "شمسه"، وتُسرد الأحداث الغريبة والعاصفة الواقعة بعد التّقاءهما، فمنذ وصول "شمس" إلى بلدة قونية، والإشاعات تنتشر حول جدله وهرطقته.

وكان "جلال الدين الرومي" بعد صُحبته لـ "لتبريزي" طوع بنانه، فجعله "شمس" يذهب إلى الحانة، ويشتري قنينتي خمر، ويبتعد به عن أهله، ويختليان معاً مدة أربعين يوم، ويوجّهه إلى رؤية الفقراء والمجذومين والسكران والمجانين، كلّ هذا يعود لفلسفة "التبريزي" القائمة على توحيد البشر والأديان، والتّطلع إلى الحبّ الإلهي، ولتعلّق "الرومي" بـ "شمسه"، وعدم الرغبة في مفارقتة يقترح عليه الزواج "بكيما" الفتاة المتربّية على يده وكأنتها ابنته، وبالفعل يتزوّج "التبريزي" بـ "كيما"، غير أنّه يُدرك الخطأ المُرتكب بزواجه ويربطه بالموت، فالاتحاد يكون مع الله وليس مع الجسد البشري. وبد ثلاث سنوات عن علاقة جمعت "الرومي" بـ "التبريزي"، كانت نهايتها مأساوية، بمقتل "شمس الدين"

*** مغامرات (بينوكيو) .. (Le avventure di Pinocchio) كيف تكون إنساناً... ***

صنفت قصة الطفل المصنوع من الخشب بينوكيو (Pinocchio) كواحدة من أشهر قصص الأطفال على الإطلاق، حيث حققت شهرة عالمية بفضل الرسوم الكرتونية التي تم إنتاجها في حدود سنة 1940.

وتروي القصة حياة نجار كان فقيراً طاعناً في السن ويعاني الوحدة، فكر بصناعة دمية خشبية على شكل طفل صغير ليتخذها رفيقة من خيال بقية حياته.

وتحققت رغبة هذا العجوز عندما لاحظت "حورية" حزنه فنفتحت الروح في جسد الدمية الخشبية ليظهر بعدها بينوكيو والذي سيخوض في بقية القصة مجموعة من المغامرات ليثبت حسن أخلاقه ويحصل في النهاية على جسد إنسان. وبينما حملت القصة الكرتونية المصورة مغامرة شيقة ونهاية سعيدة، اختلفت القصة الحقيقية لبينوكيو عن ذلك تملأ، التي يعود تاريخ ظهورها إلى ثمانينات القرن التاسع عشر في إيطاليا. كما يعود تاريخ ظهور قصة مغامرات بينوكيو (The Adventures of Pinocchio) إلى الفترة ما بين سنة 1881 و 1883، حيث لم يتردد الكاتب الإيطالي والمنحدر من منطقة فلورنسا كارلو كولودي (Carlo Collodi) في تأليف هذه القصة ليرز صعوبة تربية الأبناء، ومعاناة الأولياء مع أطفالهم المشاغبين. وفي حقيقة الأمر لم يعرف الكاتب الإيطالي كولودي طعم الأبوة مطلقاً، حيث لم يرزق الأخير بأبناء، ومن خلال قصة الطفل المشاغب بينوكيو سعى المبدع الإيطالي إلى خلق تجسيد لفلسفة جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) التي نقلها في كتابه الشهير Emile, or On Education والذي يعود تاريخ ظهوره لسنة 1762. وأثار الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو) بعد نشر كتابه أزمة حقيقية بسبب مسألة التربية التي سرعان ما برزت عقب الثورة الفرنسية.

وبلشر كارلو كولودي مهمة تأليف القصص وترجمتها منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، حيث قدم الأخير العديد من القصص الرائعة التي أعجب بها الأطفال.

وفي حدود سنة 1881، راسل كولودي صديقاً له عمل كمسؤول بإحدى صحف روما ليعرض عليه فكرة تخصيص صفحة الأطفال بالجريدة، وذلك من أجل نقل بعض القصص الرائعة. ولقيت الفكرة إعجاب الجميع، ليبدأ المؤلف الإيطالي بمهمة نشر أجزاء من قصة الطفل الخشبي بينوكيو.

وبحسب ما جاء في القصة الحقيقية والأصلية لبينوكيو، أقدم السيد جيبييتو (Mister Geppetto)، والذي كان نجاراً فقيراً طاعناً في السن ووحيداً على صناعة دمية الطفل بينوكيو، انطلاقاً من خشبة استخرجت من شجرة صنوبر حصل عليها في وقت سابق من عند جاره. منذ البداية، تميز بينوكيو بطابعه السيئ، فحال إتمام العمل على قنميه أقدم الأخير على ركل صناعته السيد جيبييتو. وبعد أن تعلم المشي، فر بينوكيو من منزل والده جيبييتو نحو المدينة، وهناك تعرضت الدمية الخشبية للاعتقال من قبل رجال الشرطة الذين لم يترددوا لحظة واحدة في فتح تحقيق حوله. إثر ذلك، أقدمت الشرطة على اعتقال السيد جيبييتو بعد اتهامه بسوء معاملة ابنه بينوكيو ليجد النجار العجوز نفسه في السجن. إلا أن بينوكيو غط مرة في نوم عميق قرب الموقد، واحترقت قدماء، ومع خروج والده جيبييتو من السجن، حصلت الدمية الخشبية على زوجين جديدين من الأرجل، إلا أنه واصل سلسلة أعماله السيئة كالسرقة، والكذب، والهروب من المدرسة، وبسبب ذلك تعرض الصبي الخشبي للسجن، والضرب، والتجوع قبل أن يشق في النهاية عند الجزء السابع عشر على جذع شجرة. ولقيت قصة بينوكيو رواجا كبيرا بين الأطفال، ولم يكن المحرر والمسؤول بالصحيفة راضياً عن النهاية التعيسة ليطلب عقب ذلك من كارلو جيبييتو تغيير النهاية وإضافة أجزاء أخرى إليها والتفكير في نهاية سعيدة قبل تجميع كل الأجزاء في كتاب واحد.

فيما لم يتردد المؤلف الإيطالي في إضافة أكثر من عشرة أجزاء أخرى للقصة، نجا من خلالها بينوكيو من الموت على حبل المشنقة عقب تدخل إحدى الحوريات من أجل إنقاذه. وشهدت الأجزاء التالية تراجع دور الوالد جيبييتو لصالح الحورية التي أصبحت بمثابة الأم.

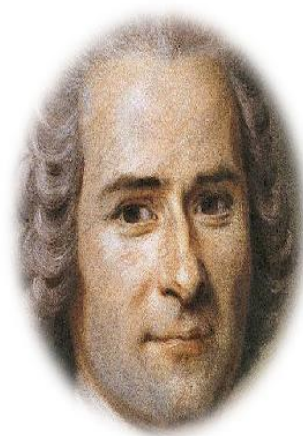
وفي بقية القصة، تحسنت تصرفات بينوكيو تدريجياً، وتعلم عدداً من الخصال منها الصدق، والوفاء، ومد يد المساعدة لغيره. ولذلك كفاته الحورية ومنحته جسد إنسان حقيقي.

صورة لكالو كولودي مؤلف القصة الأصلية لـ بينوكيو





جان جاك روسو



تعد رواية مغامرات بينوكيو من أعظم الأعمال الروائية الإيطالية الكلاسيكية بعد الكوميديا الإلهية (لدانتى أليجييري). ففي عام 1880 دفعت الحاجة الصحفي الإيطالي الساخر والثوري (كارلو كولودي) إلى كتابة سلسلة من قصص المغامرات للأطفال عُرفت باسم مغامرات (بينوكيو): قطعة من الخشب تنطق، هكذا فجأة، ارتعدت فرائص السيد (تشييري)، تلفت من حوله ليرى مصدر الصوت، لطمة موجعة تلقاها من قطعة خشبية وهنا بدأ كل شيء. تالتت طرقات على بابه؛ صديقه السيد (جيبيتو) النحات الفقير المعدم، جاءه راجياً منه أن يمنحه قطعة خشبية لينحتها ويصنع منها لعبة ترقص فماذا كانت المفاجأة؟ تلقى صفعه في الظلام لا يدري من أين جاءته، تعارك مع صديقه، سقط شعره المستعار، تصارعا، تلعنا حتى سمعنا صوت ضحكة تأتي من ركن زاوية من الغرفة، فكانت ويا لهول ما شاهدا (قطعة خشبية ناطقة)! أخذها السيد (جيبيتو) النحات، وقرر الاستفادة منها فشكها بيده ونحت منها لعبة خشبية أسماها (بينوكيو)، والتي تعني (حبة القمح) مع ما يحمله الاسم من دلالة لمادة الغذاء الأولى التي تقوم بها الحياة الم يكن (بينوكيو) تمثالاً عادياً، فقد جرع على سيده المتاعب؛ فعلى خلاف نسخة أفلام (ديزني) لشخصية (بينوكيو)؛ والتي تظهره بأنه طفل لطيف ودود، تظهر شخصيته في الرواية على أنه طفل أناني جداً ومثير للمتعاب ومزعج، ليودع صناعه (جيبيتو) السجن بعد أن لاحق (بينوكيو) حين فزهاً من البيت، فيا لعدالة القانون! والذي طالما انتقده المؤلف في مقالاته، لتعاقب الضحية بدل الجاني. ويعد الإشارة إلى ذلك حين يسجن القاضي (بينوكيو)؛ لأن نقوده سرقته منه، عوضاً من سجن الجناة. تتوالى مغامرات (بينوكيو) وتتتابع معها الكوارث التي جرها (بينوكيو) على من حوله. ليبيع كتاب المدرسة الذي ابتاعه له (جيبيتو)، والذي اضطر لأجل شرائه لأن يبيع معطفه الوحيد المرقع الذي يقيه ما أمكن من البرد القارس، لكن (بينوكيو) -الذي لا قيمة إلا لرغباته واندفاعاته، لا قيمة إلا لصوت (أنانيته الذاتية)- يبيع المعطف لي شاهد عرض الدمى؛ حيث يسقط في شر أعماله ويقرر مدير العرض أن يسعربه لإذكاء نار الشواء، ثم يعفو عنه، رافقاً بأبيه المسكين (جيبيتو) الذي ينتظره، فيمنحه خمس قطع ذهبية ليساعد بها (جيبيتو)، ولكن كيف لأنانيته وجشعه أن تتركه؟ وتستمر الأحداث وتسرق منه الأموال، ويشنق، وتنقذه الجنية، وبيتلعه الحوت، وتطير به حمامة لتوصله إلى والده الذي يغرق. يهرب (بينوكيو) إلى بلدة (أرض الأغبياء) حيث لا عمل ولا دراسة، فقط لعب ولهو وأكل ونوم، فقد كان يرفض العمل ويفضل الموت عليه، حتى تحول إلى حمار وكاد أن يسلم جلد له لولا أن عناية ما أنقذته، ومن بعدها التقى مجدداً بالجنية (يد القدر الحانية)، وتعد لها بأن يكون خلوفاً طائفاً عاملاً عالمًا مجتهداً قدر الإمكان، وأن يكف عن شقاوته. عندها فقط يستيقظ ليجد نفسه وقد أصبح إنساناً! غالباً ما تقترن قصة (بينوكيو) في المخيال القصصي لدينا، بحادثة أنفه الذي يطول ويتمدد عندما يكذب، بل إن البعض يختصر الثيمة الفنية للرواية بالدعوة إلى الصدق واجتناب الكذب فقط! في تبسيط يصل لحد السذاجة لكل رمزنة وفلسفة احتوتها، لكن ماذا نفعل إذا كان حال البعض في عدم تحميل نفسه مشقة قراءة ما بين السطور، والاكتفاء بمباشرة القصد في النص! (كارلو كولودي) قد حاول من خلال تلك القصة أن يكشف عن حقيقة كيف يمكنك أن تكون إنساناً؟ فالوجود هنا قد تحقق وسبق وينتظر تشكيل الماهية التي تسمو به لرتبة (إنسان). الأنانية المطلقة والتفكير الذي لا يتعدى دائرة الذات تسلبك إنسانيتك، لا تفترق أبداً عن قطعة الخشب الصماء الصلبة تلك! (كارلو كولودي) الذي ذاق مر الفقر، واضطهاد أصحاب النفوذ لأبناء إيطاليا الفقراء من أمثاله، يرمز إليهم (بينوكيو) تلك اللعبة المشاغبة عديمة الإحساس فيمن حولها. وقد يتعدى الأمر حدود الظرف التاريخي الذي كتبت خلاله القصة، لترمز إلى الوجود الإنساني ككل، الطبيعة الإنسانية التي تحتاج دوماً إلى من يهذبها ويصقلها بل ومن (ينحتها ويشكل ماهيتها)، ف(جيبيتو) في رمزنة للإله الذي خلق وأبدع (بينوكيو) (حبة القمح) قد نسي تشكيل أذنين له، فلم يسمع لتوجيهاته بل قرر أن يخوض (بينوكيو) تجاربه ويقرر مصيره حتى وإن أخطأ، فإلى أي حد يمكننا القول أن (بينوكيو) يشبه الإنسان في ضرورة تحمله لمسؤولية اختياراته؟ (كارلو كولودي) الأديب الساخر، لم يمنح (بينوكيو) نهاية مشرقة في الجزء الأول من روايته، بل جعل نهايته مشنوقاً على غصن شجرة بلوط! النهايات السعيدة ليست من اختصاصه، فسوداوية الحياة التي عاشها تلزمه بضرورة أن ينال المجرم عقابه! لكن الناشر وبعد التهافت الكبير على قراءة سلسلة مغامرات (بينوكيو) يطلب منه أن يكملها، لتأتي الجنية وتنقذه. كما أن الأنانية تنقص من مرتبة كينونتك (الإنسانية)، فإن التقاعس والكسل والجهل أيضاً تضع الإنسان في مرتبة دون الإنسانية؛ فعندما تحول (بينوكيو) لحمار لرفضه العمل والذهاب إلى المدرسة، كان درسه الثاني الذي عليه أن يتعلمه جيداً ليتحول إلى (إنسان). التعاطف والتضحية والشعور مع الآخرين هي الركيزة الثالثة التي اشترطها (كارلو كولودي) ليتحول (بينوكيو) إلى (إنسان) يرى ويشعر ويحب، فحين ضحى بأمواله لإنقاذ الجنية في مرضها وسهر على راحة والده، تحققت أمنيته لينال مرتبة الإنسانية! لنا أن نقول أن هذه الرواية وإن كانت مقدمة للأطفال، إلا أنها هدية الكاتب إلى الإنسانية جمعاء. لنحاسب أنفسنا هل نحن حقاً قطع خشبية متكلمة ك(بينوكيو)؟ أم أن الشرط الإنساني من حب وعمل وتضحية وعلم قد رفعنا إلى عالم البشر! من قال إن الفلسفة العميقة تحتاج إلى حذلق لغوية وتعقيدات بيانية. مرة أخرى تتفوق البساطة برمزيتها.

***** الأسئلة الموجهة للطلبة : *****

- 1- قم بتلخيص الرواية بأسلوبك الخاص.
 - 2- أين تكمن معالم العالمية في الرواية؟ لماذا برأيك حققت الرواية مقروئية على المستوى العالمي؟
 - 3- ماهي الفروق الجوهرية بين حكاية (بينوكيو) الأصلية وتلك المقتبسة للسينما؟
 - 4- ماهي القيم الإنسانية المستنبطة من الحكاية؟
 - 5- هل ترى أنها تتوافق مع الخصوصيات الأيديولوجية للمجتمعات العربية؟
- ***** بالتوفيق *****

